عروبة الأندلس والهوية الأوروبية:
سرفانتيس، وردزورث، بيتس

حوالي عام ١٥١٩م، اختطف قراصنة البحر المتوسط مسلمًا من مواليد الأندلس اسمه الحسن بن محمد الوزان الفاسي في أثناء عودته من رحلة إلى المشرق العربي أدى فيها فريضة الحج. وكعادتهم استرق القراصنة الرجل، غير أنهم حين تبينوا سعة علمه وذكائه قدموه هدية إلى البابا ليو العاشر الذي أعجب به فأعتقه وأقنعه باعتناق المسيحية وبتغيير اسمه، ليصبح ليو الأفريقي بدلا من الحسن الفاسي. وهكذا بقي الرجل في روما ينعم بأفياء عصر النهضة الإيطالي ويتعلم اللاتينية والإيطالية ويدرس العربية، وليكتب من ثم كتابه الشهير وصف أفريقيا (١٥٢٦م) الذي ظل مع بعض مؤلفاته الأخرى ولمدة أربعة قرون أحد المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها أوروبا في معرفة الإسلام. ولعل من بالغ الدلالة أن يكون واحد من أواخر العلماء في الثقافة العربية أندلسيًا مسلمًا تنصر وغيَّر اسمه العربي، وأن يؤلف كتابه بالإيطالية بدلاً من العربية.[١] إن في ما حدث للحسن الفاسي أو ليو الأفريقي مؤشرًا على اكتمال المرحلة الأخيرة من انحدار الحضارة العربية الإسلامية، المرحلة التي شهدت في بداياتها انهيار الحكم العربي في الأندلس ثم الشتات التدريجي الذي تلاه لمسلمي شبه الجزيرة الإيبيرية. وفي ازدواجية الهوية لدى ليو الأفريقي اسمًا ولغة وانتماء من الناحيتين

---

(١) حول الحسن الوزان الفاسي، انظر دائرة المعارف الإسلامية وكتابه:
The History and Description of Africa written by Al-Hassan Ibn Mohammad Al-Wazan (sic) Al- Fasi, A Moor Baptised as Giovanni Leone, But Better Known As Leo Africanus, tr. John Pory (1600), ed. Robert Brown (London: the Hakluyt Society, 1896). انظر ترجمة الكتاب إلى العربية بقلم د. عبدالرحمن حميدة بعنوان وصف أفريقيا (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ).